دلالة التكرار في سورة الرحمن

أ/زبيدة بن أسباع
جامعة الحاج لخضر باتنة (الجزائر)

Abstract:

Surat Ar-Raĥmān is not like others surats in Quran, It is considered as a fertile field for the phenomenon of repetition, because the repetition of the words of God (**So which of the favors of your Lord would you deny?**) as well as the characters repeat in one word and sentence, the repetition of words in one sentence and in multiple sentences established an attractive value of the phoneme and the other Semantic value of an influential radiates the beauty of the Quranic text in the form of bright it is against the Holy bride.

لقد ظل القرآن رغم تعاقب الأزمنة عليه آية لا ينتهي إعجازها، وبرهانا لا تنقضي عجائبه، ووحيا ناطقة حججه قرآنا عربيا غير ذي عوج، قرآنا استرعت لغته العلماء فراحوا يبحثون في خباياه عن دور البلاغة ولآلئ الفصاحة ... ومن هذه الدّرر المتفردة التي عكست البيان المعجز، والبلاغة الخلاقة ظاهرة التكرار في النص القرآني، وهي ظاهرة كثيرا ما جلبت أسماع المنصتين، وأذهان القارئين في كثير من صور القرآن الكريم، وأبرز سورة تمثل حقلا خصبا لهذه الظاهرة اللغوية هي "سورة الرَّحْمَٰن " وقد وقع اختيارنا على هذه السورة لأنها تضم التكرار بأنواعه، كما أنها تضم تكرارا لم يشهده النص القرآني وهو تكرار آية « فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » إحدى وثلاثين مرة، وسنحاول من خلال هذه الدراسة أن نبين بأن التكرار في القرآن الكريم لم يكن عفويا بل هو تكرار كان له دوره الصوتي، والدلالي والبلاغي.

تعريف التكـرار:

التكرار مصدر كرّر، إذا ردّد وأعاد، وهو عند البصريين « تَفعال» بفتح التاء خلاف « تفعيل »، أما الكوفيون فيرون أنه مصدر « فعَّل » والألف عوض من الياء في التفعيل[1].

ومهما يكن من اختلاف في صيغة الكلمة فإن المدرستين تتفقان في تحديد معناها، وهذا هو الجوهر، وفي عنوان بحثنا «التكرار» ومرادفها العام «التكرير»، ويظهر في كل منهما حرف الرّاء مرتين، والراء في حدّ ذاته حرف تكراري لا يقطع صوتَه اللسان بالتقائه تماما مع مقابله من الفك الأعلى بل يظل مرتعشا زمنا تتوالى فيه طرقات اللسان على اللّثة نحو ثلاث مرّات[2].

فوائد التكرار:

إن للتكرار مزايا صوتية، وصرفية، ونحوية، ناهيك عن المزايا البلاغية والبيانية، ونكتفي هنا بذكر ما يتصل بالدلالة، أو ما اشتهر بين الدّارسين، على مختلف مستوياتهم، وميادين تخصصاتهم، وأبحاثهم.

1. التأكيـد:

إن التكرار اللفظي أبلغ من التأكيد المعنوي، لأنه واقع في تكرار التأسيس، ذلك أن التأكيد المعنوي يقرر إعادة معنى الأول دون تجاوز، فإذا قلنا مثلا: جاء زيد نفسه، فإن التعبير لا يكون أبلغ من قولنا: جاء زيد، جاء زيد؛ لأن الجملة الثانية تأسيس للأولى، ومثل ذلك قوله تعالى:« كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ »[3].

فكانت «كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» الثانية تأسيسا للأولى لا تأكيدًا لها، لكونها أبلغ في التعبير، لأنه في لفظة «ثم» تنبيه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول، وهذا دليل على أن الأمر، وإن تعاقبت عليه الأزمنة لا يتطرق إليه التغيير، ولا يقربه التبدل[4].

ومثل ذلك أيضا قوله -عزّ وجلّ -: « ومَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ»[5]، وقوله في موضع آخر: « فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ » 6 حيث أُعيد التعبير – هنا – تعجبا من تقديره [7].

2. زيـادة التنبيه:

إن التكرار زيادة تنبيه لنفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول، ومن ذلك قوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم يعظ أباه ويرشده: « يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا »[8] . حيث تكرر (يا أبت) إلحاحا على التنبه ودفعا لما قد يعتري المتلقي من شك وريب.

3. التذكير بالكلام السابق:

يذكر صاحب البرهان أنه « إذا طال الكلام وخُشي تناسي الأول أعيد ثانية تطرية له، وتجديدا عهده »[9] نحو قوله تعالى:« ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» [10] وقوله أيضا على لسان يوسف – عليه السلام – « إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » [11] ، فكرَّر في الآية الأولى لفظة « رَبَّكَ » ، وفي الثانية « رَأَيْتُ » تجديدا لعهد الكلام لما طال وخشي تناسيه.

4. تكرار المتعلق لنفي الغفلة:

كثيرا ما نجد الكلام نفسه يتكرر في الخطاب الواحد، وإن تعدَّد ذلك الكلام فكل واحد منه متعلق بما سبقه من الحديث نحو قوله تعالى:« فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ» [12] بعد الحديث عن كلِّ أمة نالها عذاب يختلف عنه عذاب أمة أخرى، فترتبط الآية المكررة بما سبقها من حديث، ويهدف هذا النوع من التكرار إلى إبعاد الغفلة [13] .

أنواع التكرار في سورة الرَّحْمٰن:

إن التكرار في سورة الرحمن ثلاثة أنواع: تكرار حرف، وتكرار لفظة، وتكرار جملة، أو آية.

1. تكرار الحرف وعلاقته بالمعنى:

تعريف الحـرف:

يعرف اللغويون الحرف أو الصوت (Le Phonème) : أنه أصغر وحدة صوتية يمكن عن طريقها التفريق بين المعاني[14].

والواقع أن مسألة القيمة الدلالية للصوت مسألة قديمة أثارها الخليل بن احمد (ت 180 هـ) ومن تبعه من العلماء أمثال سيبويه (ت 180 هـ) وابن جني (ت 392 هـ)الذي يذكر في كتابه الخصائص في باب « إمساس الألفاظ أشباه المعاني » أن « هذا موضع شريف لطيف، قد نبه عليه الخليل، وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته »[15] ويمضي ابن جني يثبت صحة القضية، ويحتج لها معلنا أنَّه « كلما ازدادت العبارات شبها بالمعنى كان أدل عليه، وأشهد بالغرض فيه »[16] فيقول « فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب واسع، ونهج ملتئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحرف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعد لونها بها، ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره، ومن ذلك قولهم خضم، وقضم، فالخاء لأكل الرطب، كالبطيخ، والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك ..، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث ن ومن ذلك قولهم: النصح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النصح ، قال سبحانه: « **فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ** » [17] فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلضتها لما هو أقوى منه »[18].ومن كلام ابن جني ندرك أن الصوت آلة توجه بها دلالة اللفظ، وقد اتخذ الخطاب القرآني من الصوت المفرد، وخاصة ما تكرر منه وسيلة بلاغية لتصوير المواقف المختلفة.وتكرار الحرف يكون في الكلمة الواحدة كما يكون في الجمل.

أ تكـرار الحرف في الكلمـة:

ويكون ذلك بتكرار حرف ما في الكلمة الواحدة، كتكرار الحرف في المضعف الرباعي، وفي هذا يقول ابن جني: « وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقعة ... فجعلوا المثال المكرر للمعنى والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها »[19]، وهذا قريب من قول الخليل : « **في قول العرب: صرّ الجندب، وصرصر البازي، كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًا فقالوا: صرَّ صريرًا فمدوا، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صَرْصَرَ** »[20]

فكانت الزيادة في المبنى حسب رأي الخليل، وابن جني زيادة في المعنى، لأن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه كان من الطبيعي أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً لكون الألفاظ صورًا للمعاني.

فإذا نظرنا في الكلمات التي تكرّرت فيها الأصوات في سورة «الرَّحْمٰن» وهي ثلاث كلمات: (**صلصال، ولؤلؤ، ورفرف**) فإننا نجد في لفظة الصلصال من قوله تعالى: «**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**»[21] من « **صلَّ** » وهو

صوت الشيء الصلب إذا تحرك كالحديد، والحجر، ونحوهما، فكان حرف الصاد واللام محاكاة لذلك الصوت، فقيل: صلَّ السيف، وصلَّ اللجام، وصلَّ الفخار، ولما تكرَّر الصوت بتكرار الحدث قيل: صلصل السيف، وصلصل اللجام، وصلصل الفخار[22]، فكان تكرار فاء الفعل ، وعينه دليلا على تكرار الحدث، واستجابة طبيعية للمعاني.

أما لفظة « **لؤلؤ**» من قوله عز وجلّ: « **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**» [23] فمعروف أن اللؤلؤ هو كبار الحب من الحجر الكريم الذي يستخرج من البحر، والجمع لؤلؤ ولآلئ، يقال تلألأ النجم والقمر والنار; إذا أضاؤا، ولمعوا، وقيل أيضا هو اضطراب برقمهم، وفي صفة الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتلألأ وجهه تلألؤ القمر أي يستنير ويشرق [24].

وقد سمي اللؤلؤ بهذا الإسم لتلألؤه، أي للمعانه، ولما كان البصر ينقل في أثناء حركة اللؤلؤ ونحوه اضطرابا في البرقة وتقطعا في اللمعان، كان تكرار حرف « اللام » الذي تقطعه الهمزة في المقطع الأول، والثاني من الكلمة تصويرا للؤلؤ الذي اقترنت برقته بذلك الاضطراب.

وقريب من لفظة صلصال ولؤلؤ لفظة رفرف، والمعروف أن الطائر إذا حرك جناحيه في الهواء فقد رفرف، والرفرفة محاكاة الصوت الذي تحدثه أجنحة الطيور في أثناء طيرانها، ومنه قيل رفرف العلم إذا تحرك في الهواء محدثا صوت الراء والفاء في سلسلة منتظمة يتتابع فيها صوت الفاء والرّاء ، ومنه سمي كل ثوب رقيق ونحوه رفرف لأنه أكثر الأشياء قابلية للحركة وإحداث ذلك الصوت، وبه سميت المحابس الرقيقة التي تطرح على الفرش« **رفرف**»[25].

تكرار الحرف في الجـمل:

1. تكرار الحروف المائعة [26]:

تعد الحروف المائعة: الراء، واللام، والميم، والنون، أكثر الحروف ارتباطا باللفظ في سورة الرَّحْمٰن، وكما كانت هذه الحروف المائعة أكثر الحروف في المضعف الرباعي الذي جاء على صيغة « فَعْلَلَ » في كلمة صلصال، ولؤلؤ، ورفرف، فقد تكررت كثيرا في مستوى الآيات.

فلنتتبع قوله تعالى: « **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَـانُ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** »[27] فتكرار الرّاء، واللام، والميم، والنون عبر عن حدث هادئ تجلت فيه قدرة الله الباهرة، وعطاؤه العظيم، فكانت هذه الأصوات المائعة برخاوتها أكثر ارتباطا بالحدث، والنفس معًا.

ولنقف مرَّة أخرى والحروف نفسها تتكرّر في هذه الآيات « **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** » [28] فالحروف المائعة نفسها بمؤانستها للأصوات الشديدة كالباء، والقاف، والكاف، استطاعت أن تعبر عن عظمة الحدث، الذي يضع صفحة الوجود في طيِّ الفناء، وجلال وجه الكريم باقٍ خالد، كما استطاعت الحروف نفسها أن تبعث في النفس خشوعا وليناً.

وتعود تلك الحروف لتصوِّر موقفا جديدا، موقفا مهولاً يقول فيه – عزَّ وجلَّ– « **سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ** »[29] هنا تجلت شدة الحروف المائعة وقوتها بتركيبها مع الأصوات الانفجارية و الشديدة كالقاف، والطاء، والظاء، فجاءت الرّاء في هذا التركيب واللام، والميم، والنون لتعبر عن الهول الذي فاق المألوف البشري، وتصوّر

المصير المردي الذي ينتظر المجرمين، وبهذا تبعث هذه الحروف في هذا الموضع إيقاعا قويا تستيقظ له المشاعر، وتخفق له القلوب.

2. تكرار المدِّ:

كما تمكنت أصوات الحروف الصحيحة « المائعة » أن تجمع بين القيمة الدّلالية ، والقيمة الموسيقية عند تكرارها، فإن حرف المدِّ الذي لزم سورة الرَّحْمٰن من بدايتها إلى نهايتها منح النص القيمتين بشكل أوفر لتجانسه مع الحركات التي تسبقه، فينطلق الصوت بذلك مسافة أطول تتجاوب معها المشاعر، وتطرب لها النفس، وقد تنبه علماء اللغة العربية إلى هذه القضية وفي هذا يقول السيوطي (ت 911 هـ): « كثير في القرآن حتم الفواصل بحروف المدِّ، واللّين، وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكين من التطريب بذلك كما قال سيبويه: أنهم إذا ترنموا يلحقون الألف، والياء، والنون لأنهم أرادوا مدَّ الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع »[30]

ويقول عز الدين علي السيد: إن الممدود في الكلام له صلة بالنفس في راحة القلب بمد النفس، وراحة السمع بحسن النغم [31].

فلننظر إلى قوله تعالى: « **الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ** »[32] إن ألف المدِّ التي انطلق معها الصوت في ستة مواضع تبعتها فيها غنة النون التي بعثت في الآيات نغما شجيا جعل الفكر يحلق في فضاء هذه الآيات، التي انسابت أبيات عطاء الرَّحْمَنُ، وسخائه في بديع ما خلق، وعظيم ما صوّر.

وإذا نظرنا في الآيات التي وصف فيها تعالى ذكر حال المجرمين في قوله: « يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ »[33] فإن المدّ هنا لم يقتصر على الألف فحسب بل وقع مزج بين المدين الألف والواو المقيدين بالنون في قوله: (آنٍ)، و (تُكَذِّبَانِ) في ألف المدِّ، و(الْمُجْرِمُونَ)، و(يَطُوفُونَ) في واو المدِّ، وقد تمكن هذان المدّان من تصوير هذه الحال المفزعة أحسن تصوير بأبلغ تعبير.

وبألف المدِّ وحدها وصفت السورة جنتي من خاف الله تصويرًا تستكين له النفس ويلذه الشعور، فلنتبع قوله . جلّ وعلا . : « **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ**»[34] فلا شك أن هذا التجانس قد عبر عن هذا النعيم الهادئ تعبيرًا ترتخي له الأعضاء وتتجاوب معه المشاعر.

3. تكرار اللفظة وعلاقته بالمعنى:

إن الإنسان والتكرار صديقان منذ الطفولة المبكرة التي يبدأ فيها سماع دقات قلب الأم جنينا، ثم وليدا بتكرار حركة الفم في الرِّضاع، ولذلك كانت أوّل كلماته ثنائية التركيب مبسطة النطق مثل دقات القلب، فيكون أوّل نطقه مثلك ماما بابا ... والإنسان يطرب كثيرا إذا ردَّدَ الصدى صوتَه، كما يزداد طربا للكلمة ذاتها إذا أعادها على مسمعه من يحب أن يسمعها من فمه لِما طُبِعَتْ عليه نفس الإنسان من طبيعة التكرار[35].

وإذا كان تكرار الصوت المفرد في لفظ سورة الرَّحْمٰن و آيِّها حقق قيمة سمعية موسيقية، وأخرى فكرية دلالية كان طبيعيا أن يحقق تكرار اللفظة في الآية الواحدة أو الآيات المتعددة ما هو اكبر سواء أكان ذلك من ناحية القيمة الموسيقية أم من ناحية القيمة الدّلالية.

وتكرار اللفظة في سورة الرَّحْمٰن نوعان:

أ . تكرار اللفظة في الآية الواحدة:

ونجد ذلك في قوله تعالى: « **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** »[36]، وإعادة لفظة الإحسان – هنا – ليس لغرض التوكيد ; لأن لفظة الإحسان التي جاءت في أول الآية لا تحمل المعنى نفسه الذي تحمله لفظة الإحسان التي ختمت بها الآية، وذلك أن الإحسان من قوله تعالى: « **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ** » معناه كما قال الرسول (ص): « **أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك** » أي أن الإحسَان – هنا – أن يعبد المخلوق الخالق حق عبادته فيمتثل لأوامره، وينتهي لنواهيه[37] .

أما معنى اللفظة نفسها من قوله عز وجلّ « **إلا الإِحْسَانُ** » هو إعطاء الحسن أي الجنة . لأنها خير لأهلها وثواب لهم ونعيم [38].

ومما تقدم ندرك أن لفظة الإحسان التي ختمت بها الآية هي استجابة طبيعية لإحسان المخلوق، وذلك أن الجنة مكافأة لمن آمن واتقى.

ب . تكرار اللفظة الواحدة في آيات متعددة:

ونجد تكرار اللفظة الواحدة في آيات متعددة من قول الله عز وجلّ: «وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ » [39] « أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ »[40] « وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ »[41].

إن القارئ لهذه الآيات الثلاث يلفت انتباهه تكرار لفظة الميزان في آخِرِ كل آية وكان حقها الإضمار في الآية الثانية والثالثة. وقد اختلف المفسرون في سبب إعادة ذكر الميزان في أواخر هذه الآيات الآخذِ بعضها بأعناق بعض. فقال بعضهم إن سبب ذلك هو نزولها متفرقة، ولو أنها نزلت معًا لأضمر ذكر الميزان، وقال آخرون إن إعادة ذكر الميزان سببه جعل كل آية مستقلة بنفسها غير مفتقرة إلى غيرها، والذي يعتمد هو أن يجعل لكل واحدٍ معنى غير معنى الآخر ذلك أن الميزان من قوله: «وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ» يعني وضع البنية المعتدلة في كلِّ ما أبدع الله وصوّر؛ فالشمس والقمر بحِسابٍ معلوم، وتقدير سوي، والسماء عن الأرض مرفوعة، والإنسان مصور أحسن تصوير[42].

ومعنى الميزان في قوله: « أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ »؛ الحكم بالعدل كراهية الاعتداء، وجاوزة الحدِّ في القصاص، والارث بما ثبت به حكم الطبع قبل حكم الشرع، والمعنى أن الله عدَل خلقة الخلق، ولا سيما آدمَ عليه السلامَ ليتوخى الإنسان المعادلة في الأحكام فالعين بالعين، والسن بالسن، والأذن بالأذن، والنفس بالنفس[43].

أما الميزان من قوله تعالى: « وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ »؛ هو آلة التعديل وهي التي يَقع بها الأخذ والعطاء فتبين بها مقادير الحقوق ليكتفي كل ذي حق على قدر ما يحب له فلا يأخذ أكثر من ماله، ولا يعطي أقل مما يجب عليه [44].

واستنادا إلى ما تقدم ذكره نقول إن إعادة لفظة الميزان لم يكن تكرارًا ; إذا كان الأول لمعنى غير معنى الثاني والثالث[45]. وقد استعمل الشعراء هذا النوع من الأساليب التعبيرية في إبداعاتهم الشعرية، وأقرب مثال نستدل به في هذا المقام هي قصيدة « ذات خلخال » للأمير عبد القادر الجزائري ; وقد استعمل الأمير لفظة « الخال » في قصيدته ثمانية عشر مرة لم يُخْلَق فيها على كثرة تكرارها تردد المعنى ولو مرّة واحدة. ونذكر من ذلك قوله:

خَلِيلِيَّ وَافَتْ مِنْكُمْ ذَاتُ خَلْخَالٍ تَتِيهُ عَلَى شَمْسِ الظَّهِيرِ بِالخَالِ
لَهَا مِنْطِقٌ حُلْوٌ، بِهِ سُحْرُ بَابَلٍ رَخِيمُ الحَوَايِشِ، وَهْوَ أَبْيَضُ مِنَ الخَالِ
مُوَشحَةٌ مِنْ طَرْزِكُمْ بَبَدَائِعَ مُحَجّبَةٌ، عَنْ كلِّ ذِي فِطْنَةٍ خَالِ
وكِسْوتُهَا النّعْماءُ مِنْ كُلِ محسن يَصُدُ لِمِرْآهَا الشّجَاعُ، كَمَا الخَالُ [46]

فالخال في البيت الأول يعني الشامة، ويعني البرق في البيت الثاني، والخالي البال في البيت الثالث، والجبان في البيت الرابع [47].

3. تكرار الجملة، وعلاقته بالمعنى:

ويلاحظ ذلك في تكرار جملتين الاولى في قوله تعالى: « **لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**»[48] ، وتتمثل الثانية في قوله : « **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** »[49]، وقد تكررت الجملة الاولى مرّتين فإذا وقفنا على قوله جلّ شأنه: « **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ**»[50]، وقوله: « **حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**»[51] فإننا نجد الجملة تحمل المعنى نفسه في كلا التعبيرين وهو: لم يمسسهن قبل أزواجهن احدٌ، لكن الاختلاف بين التعبيرين يكمن في المتعلق ; فالجملة وإن تكرّرت مرّتين بالدّلالة نفسها، فإننا نجد الاستعمال الأول لها يرتبط بوصف قاصرات الطرف، وفي الاستعمال الثاني فالأمر متعلق بمقصورات الطرف، وهذا من باب تثبيت الوصف وتأكيده [52].

وإذا وقفنا عند قوله تعالى: « **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** » فإننا نجد تكرارًا لم يشهده الخطاب القرآني قط ; حيث لم يحدث أن تكررت آية إحدى وثلاثين مرّة في سورة واحدة، وقد تكررت هذه الآية للتقرير بالنعم المختلفة المتعددة، فكلما ذكر الله عزّ وجلّ نعمة من النعم العظيمة التي أنعم بها على خلقه وبَّخَ على التكذيب بها فكانت « فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » في كل ذكر تُنسب إلى دلالة ما تعلقت به [53].

وقد أفرد الله عز وجل سبع آيات نبه فيها إلى ما خلق من نعم الدنيا [54] نذكر من ذلك قوله تعالى: « **الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ، وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ، وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ، فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ، وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** »[55] فبأي نعمة من هذه النعم التي ذكرتها تجحدانا، والفاء في قوله: « فَبِأَيِّ» للتفريع على ما تقدم من النعم من خلق الإنسان، وتعليمه البيان والقرآن ... وإكرامه بتسخير موجودات السماء والأرض له.

وهكذا تكررت « فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » عقب كل نعمة من نعم الدنيا فتعددت دلالاتها بتعدد تلك النعم ابتداءً من أوّل آية إلى الآية الثالثة والعشرين[56].

وكما أفرد سبحانه سبع آيات تحدث فيها عن نعم الدّنيا جعل سبعًا منها للترهيب نحو قوله تعالى: « **يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**»[57]أي: فبأي نعمة من هذه النعم تكذبان. والسؤال المطروح: أي نعمة في تهديد الله ووعيده وهو يصوِّر المصير المردي الذي ينتظر المجرمين؟ الجواب: هو أن

الله أنعم على عباده نعمتين ، نعمة الدنيا ونعمة الدين وأعظمها نعمة الأخرى، والترهيب زجر على المعاصي وبعث على الطاعات، وأي نعمة أكبر إذا من التخويف من الضرر المؤدي إلى أشرف النعم، ولما ذكر تعالى بعد كل نعمة أنعم بها على عباده في الدنيا وما أعدّه للمتقين في الأخرى « **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** » جاز أن يقول عند ذكر ما يخوف به الثقلين مما يصرفهم عن معصيته إلى طاعته التي تكسبهم نعيم جنته قوله: « **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ».

وفصل الله – سبحانه وتعالى – بين الآيات السبع التي جعلها لنعم الدنيا، والسبع الأخرى التي أفردها للأخرى بواحدة بعد قوله: « **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** » [58] النعمة في قوله: « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ »هي نعمة التسوية بين الصغير والكبير، والأمير والمأمور، والمالك والمملوك، والظالم والمظلوم في الفناء المؤدي إلى دار البقاء ومجازاة المحسن، ومعاقبة المسيء[59].

وبعد ذكره تعالى نعم الدنيا والدين التي اتبعها بقوله: « **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** » خمسة عشر مرّة تقريرًا للنعم، وتوبيخًا للمنكرين بها، وتعظيمًا لشأن المنعم خص ثمانٍ منها لوصف الجنتين الأوليين اللتين أفردهما لعبادة المتقين: « **فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** » [60] أي فبأي نعمة من هذه النعم التي أنعمت عليكم تكذبان.

ثم وصف الجنتين اللتين دون الأوليين بثمان نذكر منها قوله: «**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** » [61] أي: فبأي نعمة من هذه النعم تكذبان؟!

وبهذا يتكرر قوله « **فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** » إحدى وثلاثين مرّة، وزّعت فيها على خمسة مواقف كانت أولاها تقريرًا لنعم الدنيا، وثانيها لنعم الدين التي سبقت بنعمة التسوية بين الخلق. فنعم الجنتين الأوليين ثم الاخريين، وكانت الجملة المكرّرة تختلف في كل مرّة باختلاف المكرّر[62].

وقد ورد هذا التكرار في كلام العرب وأشعارهم، من ذلك قول المهلهل يرثي أخاه كليبا:

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْبٍ إِذَا مَا ضِيمَ جِيرَانُ المجِيرِ
على أن ليس عدلاً من كليب إذا رَحَفَ العضاه من الدبورِ
على أن ليس عدلاً من كليب إذا مَا أَعْلَنَتْ نَجْوَى الأمورِ
على أن ليس عدلاً من كليب إذا خِيفَ المَخوف من الثغور[63]

الملاحظ أن الشاعر اتخذ من تكرار صدر البيت في القصيدة وسيلة لاستنفاذ طاقته الانفعالية إزاء الحادث المفجع الذي فقد فيه أخاه كليبا، وكان المكرّر في كل بيت يحمل دلالة اللاحق.

ونذكر في هذا المقام ما قالته ميسونُ بنت بحدل حين أُنْزَلَتْ في قياس قلبها كل مظاهر الحضارة حين تزوجها معاوية ونقلها من البادية إلى الحضر، فكررت الشاعرة « أحبُّ إليَّ» سبع مرات تفضل فيها ماضي البادية مشتاقة إليها [64] قائلة:

ولَبَيْتٌ تخْفُقُ الارواح فيه أحبُّ إليَّ من قصرٍ منيف
وأكل كِسرة في كِسر بيتي أحبُّ إليَّ من أكل الرغيف
ولُبس عباءة وتقرَّ عيني أحبُّ إليَّ من لُبس الشُفوف[65]

إننا نجد حنين الشاعرة في هذه الأبيات يرسل لونا من الوجد كان المتكرر فيه القاعدة التي انطلق منها الخيال يسجل الصور المختلفة [66].

وقد سميت سورة الرَّحْمٰن بعروس القرآن في قول الرسول (ص): « **لكُلِّ شيءٍ عَرُوسٌ وَ عَروسُ القرآنِ سورةُ الرَّحْمٰن** »[67] وهذا لا يعدو أن يكون ثناءً على السورة وليس من التسمية في شيءٍ، والظاهر أن معنى « لكل شيء عروس » أي لكل جنس أو نوع واحدٌ من جنسه يزينه ، تقول العرب: « عرائس الابل » لكرائمها فإن العروس تكون مكرّمة مرعية، ووصف سورة الرَّحْمٰن بالعروس تشبيه ما تحتوي عليه من تكرار « **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**»[68] بما يكثر على العروس من الحلي في كل ما تلبسه [69].

خلاصة القول إن التكرار ظاهرة من الظواهر التي برزت في القرآن الكريم لفائدة وقد مثلت سورة الرَّحْمٰن التكرار بأنواعه المختلفة (تكرار الحرف ، تكرار الكلمة، وتكرار الجملة) لتحقق بعدا إيقاعي و جمالي و دلالي، ولعل ما اتسمت به هذه السورة من تكرار قوله تعالى (**فبأي آلاء ربكما تكذبان**) جعلها تحضى بتسمية عروس القرآن تشبيها لها بما يكثر على العروس من أدوات الزينة والجمال.

[1] أنظر لسان العرب . ابن منظور. دار صادر بيروت (1412 هـ – 1992 م) (مادة : كرر).

2. أنظر الأصوات اللغوية . إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية . ط 4 ، 1971 م ، ص 67 .

3 التكاثر:3 – 4.

4 أنظر الكشاف . الزمخشري . دار الفكر . ط 1، 1397 هـ – 1977 م ، ح 6 ، ص 254.

5 سورة الانفطار (17 – 18)

[6] المدثر 19 . 20

7 أنظر البرهان في علوم القرآن . الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط4 ، 1400 هـ ، 1980م . ج3 . ص 14 .

8 مريم:42 – 45 .

9 البرهان في علوم القرآن . الزركشي . ح 3 . ص 14 .

10 النحل:119.

11 يوسف: 4.

12 القمر: 16 .

13 انظر البرهان في علوم القرآن . الزركشي . ح 3 . ص 8 – 9 .

14 أنظر معجم علم اللغة النظري . د: محمد علي الخولي . مكتبة لبنان بيروت ط 2 1198 م. ص 209.

15 الخصائص. ابن جني . تحقيق محمد علي النجار دار الكتب المصرية (1955 م) ح 2 ص 152.

16 المرجع نفسه،ح 2 . ص 154 .

17 الرَّحْمَٰن:66.

18 الخصائص ، ابن جني ، ح2 . ص: 157–158.

19 امصدر نفسه، ح 2 . ص 153.

20 االمصدر نفسه ،ح 2 . ص 152.

[21] الرَّحْمَٰن :14.

22 أنظر لسان العرب (مادة : صلل) .

23 الرَّحْمَٰن 22.

24 انظر لسان العرب،(مادة: لألأ).

25 انظرالمصدر نفسه (مادة :رفف) ، والتحرير والتنوير. ابن عاشور.الدار التونسية للنشر تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب،1984 ، ج 27،ص274.

26 الأصوات المائعة: هي الأصوات التي تجمع بين الشدة والرّخاوة، ووجه الشبه بينها يكمن في قرب مخارجها من ناحية، ووضوح الصوت فيها من ناحية أخرى، إذ أنها تعد أوضح الأصوات الساكنة في السمع. أنظر الأصوات اللغوية . ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ،ط4 ،1971 . ص: 64–65 ، علم الأصوات . برتيل مالمبرج .تعريب ودراسة: د: عبد الصبور شاهين . مكتبة الشباب (1987 م) ص 118–119.

27 الرَّحْمَٰن :من 19 إلى 25.

28 الرَّحْمَٰن : من 26 إلى 28.

29 الرَّحْمٰن من 31 إلى 32.

30 الإتقان في علوم القرآن، السيوطي. دار المعرفة الطبعة الرابعة: ح 2 ص 134.

31 انظر التكرير بين المثير والتأثير : عز الدين علي السيد، دار عالم الكتب، ص 62.

32 الرَّحْمٰن من01 إلى06.

33 الرَّحْمٰن: من 41 إلى45.

34 الرَّحْمٰن: من 46 إلى52.

35 أنظر التكرير بين المثير والتأثير . عز الدين علي السيد ص 78.

36 الرَّحْمٰن:60.

37 أنظر لسان العرب (مادة : حسن).

38 أنظر الكشاف. الزمخشري ح 4 . ص 453، وحاشيته الصاوي علي تفسير الجلالين ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ، لبنان)ح 4 ص 159. وتفسير القرآن ، ابن كثير، دار الأندلس للطباعة النشر ،ط8 ، 1406هـ ، ح 6 . ص 501.

39 الرَّحْمٰن :07.

40 الرَّحْمٰن :08.

41 الرَّحْمٰن:09.

42 أنظر درة التنزيل وغرة التأويل. الاسكافي ، دار الآفاق بيروت. ص 462.

43 أنظرالمصدر نفسه، ص 463.

44 درة التنزيل وغرة التأويل. الاسكافي، ص 463.

45 أنظر المصدر نفسه، ص 463.

46 ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، نشر وتحقيق ممدوح حقي ، دار اليقظة ، بيروت، . ص 69 . 70.

47 أنظر الديوان نفسه ، ص69. 70.

48 الرَّحْمٰن:56.

49 الرَّحْمٰن:13.

50 الرَّحْمٰن: 56.

51 الرَّحْمٰن : 72-74.

52 أنظر الجامع لأحكام القرآن،القرطبي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1403 هـ ح 17 ص 189 . وروح المعاني للألوسي ج 25 . ص 124.

53 أنظر روح المعاني . الألوسي ، دار الفكر ، بيروت ، 1403هـ ، ح 25 . ص 97.

54 أنظر درة التنزيل وغرة التأويل . الاسكافي ص 463.

55 الرَّحْمٰن :من01 إلى 13.

56 أنظر التحرير والتنوير . ابن عاشور ج: 27 ص 246.

57 الرَّحْمٰن :35 . 36.

58 الرَّحْمٰن : 26 . 27.

59 أنظر درة التنزيل وغرة التأويل . الإسكافي ، ص 463.

60 الرَّحْمٰن من50 إلى 53.

61 الرَّحْمٰن من66 إلى 69.

62 أنظر درة التنزيل وغرة التأويل . الإسكافي ص 465. والتحرير والتنوير . ابن عاشور ،ح 27 . ص 246.

63 الأبيات من شواهد روح المعاني . الألوسي ح 25 . ص 97.

64 أنظر التكرير بين المثير والتأثير . عز الدين علي السيد ص 183 . 184 .

65 الأبيات من شواهد التكرير بين المثير والتأثير . عز الدين علي السيد ص 184 .

66 أنظر التكرير بين المثير والتأثير . عز الدين علي السيد ص 184 .

67 الإتقان . السيوطي ح 2 . ص 196.

68 الرَّحْمٰن :13.

69 أنظر التحرير والتنوير . ابن عاشور ج 27 . ص 227.